الخشنة المحتلة في بلادهم . وقد سبق المشرق ووصف في عدده الاخير مهاجرة القديس ايرونيموس الى فلسطين وبناءهُ الاديرة فيها لاهل الغرب . ولا جرم انَّ غيرهُ ايضاً ودّوا ان يقتدوا بامثالهِ فانتفعت سوريَّة من مجاورة الفرنسويين كما استفادت فرنسة من الجالية السوريين

على انَّ ظهور العرب في الشام وفتحهم لمدنها لم يلبث ان اخمد تلك الحركة المتبادلة بين فرنسة وسوريَّة لكثرة ما كانوا يجدونهُ في سبيلهم من العوائق ذهاباً واياباً . وقد وضع العرب تلك الحواجز بين نصارى سورية وفرنسة خوفاً من نفوذ الاجانب في بلادهم . فبقي حبّ السوريين الى فرنسة مكتوماً في سويداء قلوبهم كالنار تحت الرماد تبدو متأججة اذا وافقتها الاحوال

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الحادي عشر

العلوم والصنائع بين نصارى العرب

بديهيٌ انَّ عيشة العرب الساذجة في البوادي تحت الخيم بين الشاء والنوق لا تحتاج الى علوم واسعة وصنائع راقية . واحسن ما قيل في ذلك ما ورد في كتاب طبقات الامم للقاضي ابي قاسم صاعد الاندلسيّ (١ حيث بيَّن إجمالاً ما كان عليهِ العرب من البداوة وقلَّة الاكتراث بالعلوم سواء كانوا من اهل المدَر او اهل الوبر حتَّى قال انهُ « لم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور » على انَّهُ استثنى منهم

١) راجع طبعتنا (ص ٤١—٤٧) التي سبقنا بنشرها مع شروح وفهارس سنة ١٩١٢ فاختلسها عبد الرؤوف افندي الدبّاغ ونشرها في مصر بعد تجريدها من فوائدها

اهل اليمن وبني حِمير فسلّم لهم بالمعارف الدالّة عليها الآثار الباقية من عهدهم وخصّ منها علم النجوم وعلم الهندسة . وكذلك لم ينكر انّ لبقيّة العرب في عهد الجاهليّة واوّل ظهور الاسلام المامٌ في مرنيّات القلك والمواقيت والطبّ . ومعرفة بعض الصنائع . وها نحن نذكر هنا ما يثبت قولنا في نفوذ النصرانيّة بين عرب الجاهليّة من جهة بعض العلوم والصنائع

١ العلوم بين عرب الجاهليّة

ذكرنا منها في فصل الفنون الجميلة ﴿علم الهندسة﴾ وما كان للنصارى من الفضل في الآثار البنائيّة الدينيّة والمدنيّة قبل الهجرة وفي اوّل الاسلام فليراجع . ونضيف الى قولنا هناك انّ النصارى اوّل من نقل الى العربيّة كتب اوقليدوس في الهندسة وذلك في صدر الدولة العبّاسيّة نقلهُ اوّلاً الحجّاج بن يوسف بن مطر ثمّ ثابت بن قرّة . فبقي علينا ان نثبت ما اداهُ النصارى للعرب من الخدم في علوم الطبّ والنبات والنجوم والفقه . امّا الشعر والعلوم اللغويّة فسنفرد لها باباً آخر

﴿ الطبّ ﴾ قال صاعد (ص ٤٧) : « انّ صناعة الطبّ كانت موجودة عند جماهير العرب لحاجة الناس طرًّا اليها . لكنّ هذا العلم قد اقتبسوهُ من الامم النصرانيّة المجاورة ولا سيّما من الكلدان والسريان واليونان . وكان للسريان مدارس طبيّة ومستشفيات في العراق وفارس في جنديسابور وكذلك اليونان اشتهرت مدرستهم الطبيّة في الاسكندريّة . فان تصفّحنا التواريخ القديمة وجدنا ان الطبّ شاع بين العرب بواسطة حكماء نصارى او متطبّبين من تلامذتهم

فمن سبقوا الاسلام وجاء ذكرهم في تواريخ الاطباء تيادروس قال ابن النديم في الفهرست (ص٣٠٣) ونقلهُ عنهُ ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء في طبقات الاطبّاء (١ : ٣٠٧) : « تيادروس كان نصرانيًّا ولهُ معرفة جيدة بصناعة الطبّ ومحاولة لاعمالها وبنى لهُ سابور ذو الاكتاف البيع في بلدهِ ويُقال انّ الذي بنى لهُ البيع بهرام جور ولتيادروس من الكتب كنّاش (اي مجموع طبيّ) »

وقد سبق عهد الاسلام ايضاً اطبّاء سريان او روم شاعوا عند العرب كاهرون بن اعين المعروف بالقس الذي وضع كنّاشاً بالسريانيّة في ٣٠ مقالة قال ابن جلجل انّ عمر بن

عبد العزيز وجده في خزائن الكتب فامر ماسرجويه اليهودي باخراجه فوضعه في مصلاه واستخار الله في اخراجه الى المسلمين للانتفاع به» (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٦٣). وكشمون الراهب المعروف بطيبويه (١ : ١٠٩) وكسرجيس الراسعيني اوّل ناقل كتب اليونان الى السريانية. وكستابيون ويوحنّا ابنه من اهل باجرمي. فليوحنّا كتاب كنّاش كبير في سبع مقالات. وذكر ابن بختيشوع في تاريخه من الاطبّاء الرومييّن اصطفن الحرّاني واقرن الرومي (تاريخ الحكماء للقفطي ص٥٦). وذكروا طبيباً آخر رومياً يدعونه انسطاس ولم يعرّفوا زمانه ضربوا به المثل في الحذق بالطبّ. وقيل من اسمه اشتقّوا اللفظة العربيّة النّطس او النطاسيّ (تاج العروس ٤ : ٢٥٨). قال اوس بن حَجَر يذكر رجلاً من تميم الرباب اسمه حذيم ضُرب المثل بحذقه في الطبّ:

فهل لكمُ فيها اليَّ فانني طبيبٌ بما أعيا النِّطاسيَّ حذيَما

واشهر من هؤلاء الحارث ابن كلدة الثقفيّ المعروف بطبيب العرب كان من نصارى الفاطرة. وقد اكثر في ترجمته وذكر مآثره الطبيّة كثيرون من كتبة العرب كالقفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ١٦١) وابن ابي اصيبعة (١ : ١٠٩) وابن قتيبة في المعارف (ص٩٨) وذكر له ابن عبد ربّه شعراً (في العقد الفريد ٣ : ١١٤) قالوا انه كان من الطائف وسافر الى بلاد فارس واخذ الطبّ من نصارى جنديسابور وغيرها وبرّز في صناعة الطبّ وطبّب في فارس وعالج بعض اجلّائهم فبرأوا وحصل له بذلك مال كثير ثمّ رجع الى بلده الطائف وادرك الاسلام فاتّخذه صاحبه كطبيب. وكان محمّد يأمر من به علّة ان يأتيه ويبقى الى ايّام معاوية. قال ابو زيد: «وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه». وقد ذكروا له حكماً واقاويل عديدة تدلّ على ثقوب عقله وكثرة علمه. وقالوا انه أسلم لكنّ اسلامه لم يصحّ.

وتبع الحارثَ ابنُه النضر بن الحارث بن كلدة وهو ابن خالة نبيّ المسلمين قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٣): «وكان النضر قد سافر البلاد ايضاً كأبيه واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكّة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطّلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلّم من ابيه ايضاً ما كان يعلمه من الطبّ وغيره» ثم ذكر معاداته لمحمّد وسعيه بأذاه الى ان كان

يوم بدر فانتصر محمّد وانصارهُ على اعدائهم وكان النضر من جملة المأسورين فامر بقتلهِ (سنة ٦٢٤ م) . وقد روينا سابقاً رثاء اختهِ قتيلة لهُ (اطلب الاغاني ١ : ١٠٠) وقول محمّد عند ما سمع ابياتها : « لو سمعتُ هذا قبل ان اقتلهُ ما قتلته »

وقد ذُكر من الاطباء النصارى غير هؤلاء في صدر الاسلام عبد الملك بن ابجر الكناني قال فيهِ ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٦) : « كان طبيباً عالماً ماهراً وكان مقيماً في اوّل امرهِ في الاسكندريّة لانهُ كان متولّي التدريس بها من بعد الاسكندرانيين وذلك عند ما كانت البلاد في ذلك الوقت للملوك النصارى . ثمّ ان المسلمين لمّا استولوا على البلاد وملكوا الاسكندريّة أسلم ابنُ ابجر على يد عمر بن عبد العزيز وكان حينئذٍ اميراً قبل ان تصل اليهِ الخلافة وصحبهُ . فلمّا افضت الخلافة الى عمر وذلك في صفر سنة ٩٩ للهجرة نقل التدريس الى انطاكية وحرّان وتفرّق في البلاد وكان عمر بن عبد العزيز يستطبّ ابنَ ابجر ويعتمد عليهِ في صناعة الطبّ »

واشتهر في الطبّ غير هؤلاء من نصارى العرب في اوائل الاسلام ذكر منهم القفطيّ وابن ابي اصيبعة الطبيبَ ابن اثال . قال في طبقات الاطبّاء (١ : ١١٦) : « كان طبيباً متقدّماً من الاطبّاء المتميّزين في دمشق نصرانيّ المذهب ولمّا ملك معاوية ابن ابي سفيان دمشق اصطفاهُ لنفسهِ واحسن اليه وكان كثير الافتقاد لهُ والاعتقاد فيهِ والمحادثة معهُ ليلاً ونهاراً وكان خبيراً بالادوية المفردة والمركّبة » . وقد روى في الاغاني (١٥ : ١٣) كيف قتلهُ خالد بن المهاجر لانهُ سقى بامر معاوية سمّاً عمّهُ عبد الرحمان بن خالد

واشتهر ايضاً في ايام معاوية الطبيب النصرانيّ ابو الحكم الدمشقيّ قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٩) : « كان طبيباً نصرانيّاً عالماً بانواع العلاج والادوية ولهُ اعمال مذكورة وصفات مشهورة وكان يستطبّهُ معاوية ويعتمد عليهِ في تركيبات ادوية لاغراض قصدها منهُ . وعُمّر ابو الحكم عمراً طويلاً حتى تجاوز المئة سنة » . ثم ذكر ابنهُ الحكم وحفيدهُ عيسى بن الحكم وجرى كلاهما على خطّتهِ متطبّبين وماتا في عهد الدولة العبّاسيّة

ومن مشاهير الاطبّاء المسيحيين في اوائل الدولة الامويّة تياذوق وثاودورن « كان تياذوق طبيباً فاضلاً ولهُ نوادر والفاظ مستحسنة في صناعة الطبّ وكان في

اوّل دولة بني اميّة ومشهورًا عندهم بالطبّ. وصحب ايضاً الحجّاج بن يوسف الثقفي المتولّى من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطبّ وكان يعتمد عليهِ ويثق بعداواتهِ وكان لهُ منهُ الجامكيّة الوافرة والافتقاد الكثير .. ومات تياذوق بعد ما اسنّ وكبر وكانت وفاتهُ بواسط في نحو سنة ٩٠ للهجرة ولهُ من الكتب كنّاش كبير الّفهُ لابنهِ وكتاب ابدال الادوية وكيفيّة دقّها وايقاعها واذابتها » (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٢١) . امّا ثاودون فذكرهُ ابن العبري في تاريخهِ (ص ١٩٤) وذكر لهُ ايضاً كنّاشاً ولم نجد لهُ ذكرًا في غيرهِ

فترى صدق قولنا في فضل النصارى العرب في فنّ الطبّ والمعالجات . امّا فنّ الجراحة فزاولها رجل من تميم على عهد رسول الاسلام اسمهُ ابن ابي رمثة وقد صنّفهُ المرحوم جرجي زيدان في كتاب التمدّن الاسلامي (٣ : ٢١) بابن ابي رومية

﴿علم النبات﴾ يُلحق العرب علمَ النبات بعلم الطبّ الذي يستمدّ منهُ موادّهُ وادويتهُ وذلك ما يدعونهُ بالمفردات ومنها يستحضر الاطبّاء أدويتهم فيمدّون المركّبات . ولا جرم انّ العرب في الجاهليّة عرفوا كثيرًا من النباتات التي تنمو في جزيرتهم وعلموا بالتجربة فوائدها الغذائيّة والعلاجيّة . والدليل عليهِ ما ورد في معاجمهم من اسماء النباتات التي جمع منها الاصمعيّ كتاباً دعاهُ كتاب النبات والشجر نشرهُ الدكتور هفنر في مجموعنا الموسوم بالبلغة في شذور اللغة (ص١٧—٦٢) ونشر ايضاً للاصمعي كتاب النخل والكرم (٦٣—٩٨)

غير ان هذه اللغويات لا يحصل منها علم مفيد الّا بمعرفة خواصّ تلك المفردات ومنافع كل صنف من النبات . وقد اصبح النصارى في هذا العلم كما في علم الطب قوماً وسطاً بين القدماء والعرب . فانّ الاطبّاء الذين مرّ ذكرهم اذ درسوا في مدارس الاسكندريّة وجنديسابور اقتبسوا منها ايضاً علم النبات الصالح للطب والغذاء . والدليل عليهِ فصول اوردها ابن ابي اصيبعة وغيرهُ من الكتبة للحارث بن كلدة فيها عدّة اوصاف للادوية النباتيّة وللاشجار والاثمار والحشائش ذكرها في محاورة جرت لهُ بينهُ وبين كسرى انوشروان

وكذلك تآليفهم التي دعوها بالكنّاشات وهي لفظة سريانيّة يراد بها المجاميع الطبيّة واوصاف الادوية المتّخذة عموماً من النبات

ولعلّ هؤلاء الاطبّاء درسوا كتاب ديسقوريدس المين زربيّ اليوناني في النبات والحشائش والادوية المفردة في اصله اليوناني وعليه كان المعوّل في الطب القديم. امّا ترجمتهُ العربية فكان النصارى ايضاً اوّل المتقدمين عليها. قال ابن جلجل (طبقات الاطبّاء ٢ : ٤٦-٤٨) : « انّ كتاب ديسقوريدس تُرجم بمدينة السلام في الدولة العبّاسيّة في ايّام جعفر المتوكل وكان المترجم لهُ اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليونانيّ الى اللسان العربيّ وتصفّح ذلك حنين بن اسحاق المترجم فصحّح الترجمة واجازها. ثمّ قال ما حلاصتهُ انّ اصطفن كان ابقى اسماء كثيرة من النباتات على لفظها اليوناني لجهلهِ ما يوافقها في اللسان العربي. وبقي الامر كذلك الى ان ارسل ملك الروم الى صاحب الاندلس الملك الناصر عبد الرحمان نسخةً من كتاب ديسقوريدس مع صور الحشائش بالوانها ثمّ إرسل اليهِ راهباً يدعى نيقولا جاء الى قرطبة سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) اعاد النظر في ترجمة اصطفن فصحّحها ووضع للنباتات اسماء عربيّة موافقة لها وذلك بصحبة اطبّاء وجدهم هناك ذوي معرفة بالنباتات والعقاقير فصارت هذه الترجمة هي المعوّل عليها واستفاد منها ابن جلجل وابن البيطار في تآليفها عن المفردات. ثمّ كان لجالينوس ايضاً تأليف في النبات عرّبهُ حنين بن اسحاق

﴿ علم النجوم ﴾ انّ صفاء اديم السماء في انحاء جزيرة العرب في معظم ليالي السنة لمّا ألفتْ انظار اهلها الى ما زيّن بهِ الله الافلاك من النجوم والكواكب والسيّارات فعرفوها منذ سالف الاعصار ودلّوا اليها باسماء شاعت بعدئذ بين الامم الغربيّة وهي لا تزال الى اليوم جاريةً على لفظها العربي بين ارباب الفلك. وكان ممّا يبعث همّتهم الى رصد الفلك ومراقبة النجوم حاجتهم اليها ليهتدوا بها في اسفارهم وهم قوم رُحّل يقطعون البراري والاقفار. ومنهم القوافل التي كان عليها المعتمد في المواصلات بين الهند وفارس وسواحل الشام. وكانوا استفادوا شيئاً كثيراً من ذلك بمجاورتهم للكلدان اللذين سبقوا جميع الامم في علم الفلك. فاخذوا عنهم علم الانواء الجوّية وحركات السيّارات ومنازل القمر ومنطقة البروج. وفي الشعر القديم آثار من ذلك

ولنا شاهد في سفر ايوب على معرفة العرب لاسماء النجوم وحركاتها في الفلك

اذ كان ايوب النبيّ عربيّ الاصل عاش في غربيّ الجزيرة حيث امتحن الله صبره . ولنا في المجوس الذين اهتدوا بالنجم الى مسذود السيّد المسيح شاهد آخر على قولنا والمجوس على رأي كثيرين من الآباء من شيوخ العرب . على انّ هذا العلم كبقيّة العلوم كان عند العرب عمليًّا ليس نظريًّا . وربّما قام بينهم وفي جيرتهم مَن يبحث فيه بحثاً مدقّقاً . وكان السريان اوّل من فعلوا ذلك منهم بردَيْصان المبتدع (راجع ترجمتهُ في العدد السابق) . ومنهم سرجيوس الراس عيني ويعقوب الرهاوي وجرجس المعروف باسقف العرب وساويرس سبوكت وغيرهم . وتآليفهم باقية الى يومنا في خزائن كتب اوربّة الكبرى . منها ترجمتهم لعدّة مصنّفات يونانيّة لجالينوس ولاسيّما لبطليموس القلوذي فانّهم نقلوا كتابهُ المجسطيّ وهو افضل وامتع كتاب وضعهُ اليونان في علم الهيئة . ثمّ تولّى بعدهم تعريبهُ وتفسيرهُ علماء النصارى اوّلهم حنين بن اسحاق ثمّ الحجّاج بن يوسف بن مطر الكوفي وثابت بن قرّة في عهد المأمون ثمّ عبد المسيح بن ناعمة الحمصيّ فاصبح مذ ذاك علم النجوم زاهراً في الاسلام

﴿ الفقه ﴾ هو علم الاحكام الشرعيّة العمليّة . ولم يكن للعرب ان يستغنوا عنهُ وهو اما دينيّ واما مدنيّ . وللنصارى في كليهما بعض الآثار بين عرب الجاهليّة

فاما الفقه الديني فكان نصاري العرب يتّبعون احكامهُ المتصوصة في المجامع الكنسيّة العموميّة والخصوصيّة التي كان يُعلن بها اساقفتهم في انحاء الجزيرة . وكانت هذه الاحكام مكتوبة اما باللغة السريانيّة كما ترى في المجامع النسطوريّة التي نُشرت بالطبع (راجع القسم الاوّل ص ٧١) واما باللغة اليونانيّة كالحقوق القانونيّة التي وضعها القديس جرجانيوس رسول الحميريين بعد موت شهداء نجران (القسم الاوّل ص ٦٤)

واما الفقه المدنيّ فغلب على المتنصرين من بني غسّان والقبائل الجاورة للفرات وما بين النهرين الفقهُ الرومانيّ كما نظّمهُ للملك يوستنيان . ولمّا جاء الاسلام ادخلوا كثيراً من احكامهِ في الفقه الاسلاميّ كما بيّن ذلك العلماء الاوربيّون

وكان لقبائل العرب قضاةٌ نجد بينهم بعضاً من الدانين بالنصرانيّة نخصّ منهم بالذكر قسّ بن ساعدة اسقف نجران المدعو بحكيم العرب وحَكَمهم . وزهير بن جناب القضاعيّ وذو الاصبع العدواني (راجع تراجمهم في شعراء النصرانيّة)

٢ الصنائع بين عرب الجاهلية

ان كان العرب في الجاهلية يستغنون عن كثير من العلوم لعدم حاجتهم اليها ليس الامر كذلك في الصنائع . فانهم كانوا مع سذاجة عيشهم يحتاجون الى كثير من المصنوعات التي لا تُنال الّا بالحِرَف والصناعات كالأصول والملبوس والاسلحة والمعاملات التجارية . وقد كان للنصارى من العرب اليد الطولى في كلّ ذلك كما سترى

﴿صناعة النسيج والحياكة﴾ هذه الصناعة من مذاهب الحضارة . فكان عرب البادية يجهلونها وانما شاعت بين عرب الحَضَر . واكثر ما زى شيوعها بين نصارى العرب في جهات اليمن والبحرين والشام وفي بلاد قضاعة وكانوا يبيعون بعضها من اقباط مصر . وهذه بعض الشواهد على اثبات قولنا

قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (طبعة ليدن ص ٢٨) انّ اهل اليمن « كانوا يعيّرون بالحياكة » . وكان المثل يضرب برياط اليَمَن وبرُود اليمن وربّما كانوا يخلّطونها . قال اوس بن صخر :

فاني رأيتُ البرْضَ احوجَ ساعةً الى الصَّوْن من رَيْطٍ يَمانٍ مُسَهَّمِ

وكانت البرود اليمانيّة غالية الثمن (التاج ٢ : ٣٠٠) ومنها ما كان يُصطنع في نجران . جاء في صحيح البخاريّ في باب البرود انّ صاحب الاسلام كان يلبس « بُردًا نجرانيًا غليظ الحاشية » . وقد وصفوا انواعاً من برود اليمن ذكرها ابن سيده في المخصّص (٤ : ٧٢) كالعَصْب قال « هو ضرب من الثياب يُعصَب غزلهُ ويُدرَج ثم يُصبغ ويُحاك يقال بُردٌ عَصْبٌ » . وكالمَراجل يقال ثوب مُرَجَّل اي على صنعة البُرجُل وهو ضرب من الوشي . وكالخال وهو الثوب الناعم . وكالعِبْرَة والخَبَرَة وكلُّها من برود اليَمَن

ومما نُسب من الثياب الى مخاليف اليمن الوشيُ العَبْقري المنسوب الى عَبْقَر من ارض اليمن والطنافس العبقريّة . وقال ياقوت (في مادّة عبقر) : بنو يزيد ينسجون الصوف فعملوا منهُ الزرابيّ العبقريّة وعملوا البرود اليزيديّة . ومما نُسب الى شَرْعَب المخلاف باليمن البرود الشرعيّة . ونُسب الى مخلاف جَيشان الخُمُرُ

الجيشانيّة . والى سَحُول ورَيْدة قريتين في اليمن الثياب السَّحُولية المصنوعة من القطن الابيض قال طرفة (ديوانهُ ٧٦) :

وبالسَّفْح آياتٌ كأنَّ رسومها ... يَمانٍ وشَتْهُ رَيْدةٌ وسَحُولُ

والى السدير من ارض اليمن نسبوا البرود السَّديريَّة قال الاعشى :

ويداه قفر كبُرْد السدير ... مشارُجا داثراتٌ أُجُنْ

وكان اليمنيُّون يعملون الرحال وينقشونها ويحسنون صنعها قال جرير (نقائض ٢٥٦) يصف رحالاً :

ومنقوشةٍ نقشَ الدنانير عوليَتْ ... على عجَلٍ فوق النطاق اليماهِرِ

ومن ثياب اليَمَن الرَّقْمُ والعَقْلُ وهما أحمران كانوا يسدلونهما على هوادج النساء (المفضّليات ص ٥٧٨) . ومثلها الغزل اليماني ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (١ : ٣٢) . وما يدل على انَّ هذه المنسوجات كانت من صنع النصارى ما ذكرهُ ابن سعد في طبقاتهِ في باب الوفود قال عن وفد نجران وكلُّهم من النصارى انَّ رسول الاسلام صالحهم « على الف حُلّة في رجب والف في صَفَر اوقيَّةُ كلّ حلّةٍ من الاواق وعلى عاريَّة ثلثين درعاً وثلثين رمحاً وثلثين بعيراً وثلثين فرساً » . وقد تكرَّر في كتب الحديث ذكر الحلل والانسجة والحرائر النجرانيَّة

وكان العرب قبل الهجرة وفي اوائل الاسلام يقتنون ايضاً ملابسهم عند نصارى منبج واليها نسبوا الاكسية المنبجانيَّة ويقال الانبجانيَّة

وقد اشتهرت بين العرب المنسوجات القبطيَّة . فانَّ بعض مدنها كالاسكندريَّة ودمياط وتنيس والفرما كانت تحتوي على معامل شائعة الذكر قال ياقوت (٢ : ٦٠٣) . ان دمياط كان يُعمل فيها القَصَب البلخيّ من كلّ فنّ والثياب البيض الغالية الثمن والفرش القلموني من كلّ لون المعلّم والمطرَّز . والى القبط نُسبت القباطيّات وكانت ثياباً معروفة بالرقّة والدقة والبياض . قال الكميت يصف ثوراً :

لياحٌ كأنَّ بالاقحيَّة مُنْبعٌ ... ازاراً وفي قبطيَّةٍ متجلببُ

وفي الحديث انَّ محمّداً كان يجلّل بدنَهُ القباطيُّ والأنماط . والنَّمط ضرب من الثياب المصبغة . وقد ذكر المقريزي في الخطط (١ : ١٨١) أنهم في الاسلام كانوا

يأخذون كسوة الكعبة من تنيس وذكر عن الناكهي انهُ رأى لهارون الرشيد كسوة من قباطي تاريخها سنة ١٩٠ه (٨٦٠ م) . وذكر ايضاً الثياب القيسية والثياب الدبيقية المنسوبة الى دَبيق مدينة بين الفرما وتنيس وكانت من ادقّ الثياب المنسوجة بالذهب (لهُ بقية)

منظومات في الممدود والمقصور لابن دُرَيد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

قد عثرنا في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة على آثار لغويّة منسوبة الى احد ائمّة النحويين. وهو ابو بكر محمّد بن الحسن الازديّ المشهور بابن دُرَيد المولود في البصرة في سنة الهجرة ٢٢٣ والمتوفّى في بغداد سنة ٣٢١ (٨٣٦-٩٣٣ م) . لهُ في الشعر والنثر تآليف عديدة قد فُقد كثير منها ونُشر بعضها بالطبع كالمقصورة وكتاب الاشتقاق وكتاب السحاب. وكلّها تدلُّ الى سعة معارفهِ وتعمُّقهِ في اسرار العربيّة. والآثار التي نحاول نشرها عبارة عن بعض المنظومات جمع فيها ابن دريد ما عرفهُ من الالفاظ المقصورة والممدودة باختلاف حركات اوّلها سواء تباينت معانيها او اتّفقت. وقد أُلحق بكل شطر شرحهُ كما ترى

قال ابو بكر ابن الازدي في معرفة ما يُمَدّ ويُقصَر:

باب ما يُفتَح اوّلهُ فيُقصَر ويُمدّ والمعنى مختلف

لا تركُنَنّ الى الهَوى واحذَر مُفارَقة الهَواء

الهَوى بالقصر ميل النفس. والهواء بالمدّ ما بين الارض والسماء.

يوماً تصير الى الثَّرَى ويفوزُ غيرُك بالثَّراء

الثَّرى التراب . والثَّراء المال والثروة